الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في مقياس البلاغة العربية

للسنة الأولى L M D

إعداد الأستاذة:

نورة بن حمزة

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ

2016 م/ 2017م

مقدمة:

تحتوي هذه المطبوعة على مجموعة من المحاضرات في مقياس البلاغة العربية، ألقيت على طلبة السنة الأولى ليسانس، النظام الجديد **L M D** .

وقد عملت على صياغة أفكار المحاضرات باتباعنا خطة منهجية مستوحاة من المفردات المقررة لهذا المقياس (علم البلاغة).

ويعد علم البلاغة علما من علوم اللغة العربية، مادته القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، لذلك كان الوقوف على قضايا هذا العلم أمرا مهما. فذكرت معنى الفصاحة والبلاغة، ونشأة علوم البلاغة، وتناولت موضوعات علم المعاني كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، وأسلوب القصر، وغيرها. ثم ذكرت بعض مبادئ علم البيان كمفهوم الحقيقة والمجاز وأنواعه.

وأخيرا ذيلت المطبوعة بنموذج تطبيقي، راجية من الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل كل من قرأه، وأملنا كذلك أن يلقى هذا الجهد المتواضع قبولا حسنا من قبل الأساتذة والطلبة كذلك.

الفصاحة والبلاغة

أولا: الفصاحة لغة واصطلاحا:

الفصاحة لغة: البيان والظهور؛ فصح الرجل فصاحة فهو فصيح... تقول: رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق... وفصُح الأعجمي، فصاحة: تكلم بالعربية وفُهِم عنه... يقال: أفصح الصبي في منطقه إفصاحا إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم... ويوم مفصح: لاغيم فيه ... وفصُح اللبن، إذا أخذت عنه الرغوة، قال نضْلة السُّلَمي:

فلم يخشَوْا مَصالتَه عليهم، وتحت الرغوة، اللبن الفصيح.

وأفصح الصبح: بدا ضوءه واستبان ... وكل واضح: مفصِح.

والفصاحة في الاصطلاح عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها[1].

والفصاحة تقع وصفا أو يوصف بها المفرد (اللفظ أو الكلمة) والكلام والمتكلم، فيقال: لفظة فصيحة، وكلام فصيح، ورجل فصيح. أما البلاغة فيوصف بها الكلام والمتكلم فقط، فيقال: كلام بليغ، ورجل بليغ.

وتتمثل فصاحة اللفظ أو المفرد في خلوه من ثلاثة أمور: تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس[2].

1- تنافر الحروف: وهو وصف في الكلمة، ينشأ عنه ثقلها على اللسان والسمع[3]، مثل قول امرئ القيس:

---

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ، الأردن، ط1، 2007، ص43.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص43.

غدائره مستشزرات*إلى العلا، تضل العِقاص في مثنى** ومرسل.[1]

فالشاعر هنا يصف غزارة شعر حبيبته (ابنة عمه) فيقول: إن حبيبته لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل.

وموضع الشاهد على التنافر هنا هو لفظة "مستشزرات" بمعنى مرتفعات أو مرفوعات، فهي لفظة مستكرهة لثقلها على اللسان وعسر النطق بها. فتنافر الحروف فيها أدى إلى ثقلها وصعوبة التلفظ بها، وهذا بدوره أنقص من فصاحتها وقلل من فصاحة البيت وجماله. ولاضابط لمعرفة الثقل والصعوبة في اللفظ سوى الذوق السليم المكتسب بطول النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم[2].

فالضابط إذن لمعرفة الثقل والصعوبة هو الذوق السليم، فما عده الذوق السليم ثقيلا متعسر النطق، فهو متنافر، سواء أكان متقارب الحروف أم متباعدها، وسواء أطالت حروفه أم قصرت.

2- غرابة اللفظ (أو غرابة الاستعمال): أي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ويكون ذلك لسببين:

الأول: عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص، فيحتاج في بحثها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة، كلفظ "جؤشوش"[3]. في قول البحتري:

فَلا وَصل إلا أن يُطيف خيَالها بنا تحت جُؤشُوشٍ من اللَّيْل أسْفَعِ[4].

---

*الثقل في كلمة مستشزرات يعزى إلى مجاورة السين للتاء مع مجاورة الشين للزاي في كلمة واحدة.

**الغدائر: الضفائر والضمير يرجع إلى فرع قبله، والاستشزار: الارتفاع، والعقاص: جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر، والمثنى الشعر المفتول، والمرسل: ضده. ينظر الهامش: امرؤ القيس، الديوان، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،(دط)،(دت)،ص39.

[1] امرؤ القيس، الديوان، ص39.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ، ص17، 18.

[3] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص 44.

[4] البحتري ، الديوان، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصريفي، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، 1237/3.

ومعناه: القطعة من الليل.

الثاني: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة، لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة[1]، كلفظ "مسرج" في قوله رؤبة بن العجاج:

ومقلة وحاجبا مزجَّجا وفاحما ومرسنا* مُسرَّجا[2].

والمعنى أن لهذه المرأة الموصوفة مقلة واسعة حسنة سوداء، وحاجبا مدققا مقوسا، وشعرا أسود فاحما، وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه، أو كالسراج في بريقه وضيائه. وشاهد الغرابة فيه هو في لفظة "مسرجا" للاختلاف في تخريجها. فاللفظة إذا دلت على أكثر من معنى، واختلف في تحديد المعنى المراد منها في موضعها فإنها تكتسب بذلك صفة الغرابة التي تنتقص من درجة فصاحتها[3].

لقد اختلف أئمة اللغة في تفسير هذه الكلمة، فقال بعضهم إن الشاعر أراد أن يشبه أنفها في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، أي منسوبة إلى حداد يقال له سريج يجيد صنعها، وقال بعضهم هو من السراج أي المصباح، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج[4].

3- مخالفة الوضع(مخالفة القياس): ومعناه أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت من الواضع (أي العرف العربي الصحيح). ومثال مخالفة الواضع أي العرف العربي الصحيح والقياس الصرفي لفظ"الأجلل"[5] في قول أبي النجم:

---

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص44،45.

* الزجج : دقة الحاجبين، والمرسن: الأنف.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص23.

[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص18.

[4] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص45.

[5] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص44.

الحمد لله العلي الأجلَلِ الواهب الفضل الوهوب المجزلِ[1].

فهو غير فصيح، لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، وللقياس الصرفي، إذ الوارد عن الواضع "الأجلّ" بالإدغام، لا بالفك، والقياس الصرفي يقتضي إدغام المثلين[2].

ومن ذلك لفظ "بوقات" في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول[3].

القياس الصرفي يقتضي جمعه على أبواق؛ لأن الجمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها.

أما فصاحة الكلام أو التركيب الذي يعني سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه، ويحول دون المراد منه، وقد اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلام أن يسلم من ثلاثة عيوب(أمور) هي[4]: ضعف التأليف، وتنافر الألفاظ (تنافر الحروف)، والتعقيد لفظيا ومعنويا مع فصاحة المفردات التي يتألف منها.

1- ضعف التأليف في الكلام:هو خروجه عن قواعد اللغة المطردة[5]؛ أي أن يكون في نظمه مخالفا للمشهور من قواعد النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإتيان بالضمير متصلا بعد إلا[6] مثل قول الشاعر:

ليس إلاّك يا علي هِمام سيفه دون عرضه مسلول[7].

---

[1]أبو النجم العِجْلي، الديوان، جمعه وشرحه وحققه محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 2006، ص337.

[2]يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص45.

[3]المتنبي، الديوان، دار الجيل، بيروت ، (دط)، (دت)،ص359.

[4]عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص18.

[5]عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص19.

[6]يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص46.

[7]أبو الطيب المتنبي، الديوان ، التبيان في شرح الديوان ، شرح أبي البقاء الكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(دط)، (دت)، 156/4.

2- تنافر الألفاظ في الكلام: هو وصف في الكلمات مجتمعة يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، وإن كانت كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها[1]؛ وهذا يعني أن يسبب اتصال بعض ألفاظ الكلام ببعض ثقلا على السمع وصعوبة في النطق بها، لأن النطق بالحروف المتقاربة في مخارجها أشبه بالمشي المقيد[2]. مثال ذلك قول الشاعر*:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر[3].

3- التعقيد: هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه، وهو نوعان:

أ- **التعقيد اللفظي:** أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد، لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني، بسبب تقديم أو تأخير أو حذف، مما ينشا عنه صعوبة فهم المعنى المراد[4]، ومن ذلك قول الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ ، وهو يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وَمِا مِثْلُه في الناس إلا مملَّكاً أبو أمِّه حيٌّ أبوه يقاربهُ[5].

ومعنى البيت : ليس في الناس مثل إبراهيم أحد يشبهه في الفضائل والمكارم إلا ابن أخته الخليفة. فترتيب النظم في البيت مختل، لأن أصل الكلام:

وما مثله (يعني الممدوح) في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملكا (يعني هشام بن عبد الملك ابن أخت الممدوح) أبو أمه أبوه [6]. فالضمير في "أمه" للملك وفي " اوه" للممدوح.

---

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص45.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص19.

*- هذا البيت الشعري مجهول القائل، ويدعي بعض الناسبين أنه لجنيّ رثا به حرب بن أمية جد معاوية بعد أن هتف به فمات. (ينظر الهامش: أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، (د ط)، (د ت)، 109/1).

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط3، 2001، ص55.

[4] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص46.

[5] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص17.

[6] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص46.

فالشاعر في البيت قد فصل بين "أبو أمه " وهو مبتدأ، و "أبوه" وهو خبر المبتدأ بأجنبيّ وهو "حيٌّ"، ثم قد المستثنى وهو "مملكا" على المستثنى منه وهو "حيٌّ". فنظم البيت كما نرى في غاية التعقيد اللفظي، وكان من حق الناظم أن يقول:

وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه . فالخلل في نظم كلمات البيت بالتقديم والتأخير، وبالفصل بين الكلمات التي يجب تجاورها واتصال بعضها ببعض قد جعل الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد[1].

ب- التعقيد المعنوي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني لمقصود، بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم، يحتاج إلى تكلف وتعسف[2]، ومن ذلك قول العباس بن الأحنف:

سأطلبُ بعد الدّار عنكم لتقرُبُوا وتسكبُ عيْنايَ الدّموع لتجمُدا[3]

فالمعنى الذي قصد الشاعر التعبير عنه في هذا البيت هو: أطلُب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا، إذ من عادة الزمان الإتيان بضد المراد، فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب، وكذلك أطلب الحزن الذي هو لازم البكاء، ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان[4].

إن الشاعر هنا جعل سكب الدموع كناية عما يلزم في فراق الأحبة من الحزن، فأصاب في ذلك، ولكنه أخطا في جعل جمود العين كناية عما يوجب التلاقي من الفرح والسرور بقرب أحبته، وهو خفي وبعيد، إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص21.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص47.

[3] العباس بن الأحنف، الديوان، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ط)، 1954، ص106.

[4] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص21.

يقال له: جمُدت عينُك ، بل المعروف أن جمود العين إنما يكنىّ بها عن عدم البكاء حالة الحزن.

وقد زاد بعض علماء البلاغة عيبين آخرين على العيوب الثلاثة المخلة بفصاحة الكلام وهما: أن يكثر فيه التكرار، وتتوالى فيه الإضافات أو تتابع الصفات، ولكن الملاحظ أن هاذين النوعين ليسا عيبا مخلا بالفصاحة دائما، فقد لا يؤديان إلى الثقل، ولا يخلان بالفصاحة ، بل يكسبان الكلام حسنا وجمالا. وقد ورد كلٌّ من التكرار والتتابع في القرآن الكريم، وكان فيهما خفة وسهولة وطلاوة.

أما **فصاحة المتكلم** فهي ملكَة أو صفة قائمة في نفس المتكلم، يستطيع بها أن يعّر تعبيرا صحيحا عمَّا يجول في خاطره من الأغراض. وهذه الملكة تتكون بكثرة الاطلاع وطول الممارسة، والثقافة الواسعة[1].

ثانيا: البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال: «بلغَ الشيءُ، يبلُغُ بلُوغًا وبلاغاً: وصل وانتهى... وتبَلَّغَ بالشيء: وصل إلى مرادِهِ... و البلاغُ: ما يُتَبَلَّغُ به ويُتوَصّل إلى الشيء المطلوب، والبلاغُ: ما بلغَكَ . والبلاغُ: الكفايةُ... والإبلاغُ: الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ... وبلغتُ المكان بلُوغا: وصلتُ إليه، وكذلك إذا شارفت عليه»[2].

وقديما اختلف أهل العلم في مفهومها ووصفها بيانيا، وقد أورد ابن رشيق القيراوني في كتابه العمدة ، طائفة من أقوال البلغاء في تحديد مفهوم البلاغة، كما تصورها من وردت هذه الأقوال على ألسنتهم .« سُئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يسأم. وسئل آخر فقال: معان كثيرة في ألفاظ قليلة. وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني– علم البيان– علم البديع، ص47.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلغ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3"، 1994، 219/8، 220.

المعنى، وحُسنُ الإيجاز. وقال المفضّل الضبي: قلت لأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خَطَلٍ »[1].

من هنا يلاحظ أن البلاغة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف موصوفها، وهو الكلام والمتكلم، يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة فلا يقال: هذه كلمة بليغة.

ما يوصف بالبلاغة:

1-**بلاغة الكلام:** البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها. والحال (المقام): هو الأمر الذي يحمل المتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة؛ فالمدح مثلا حال يدعو لإيرادها على صورة الإطناب، وذكاء المُخاطَب حالٌ يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى، ومقتضى الحال: هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم. وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى.

فالبلاغة لا بد فيها من ذوقٍ وذكاءٍ، بحيث يدركُ المتكلم متى يتكلّم، ومتى ينتهي، وما القوالب التي تُصَبُّ فيها المعاني التي رتبها في نفسه. وقد حفلت كتب الأدب بشواهد فيها فصاحة الكلمات وجودة السبك ولكن لم يراع فيها المقام الذي قيلت فيه[2]، مثال ذلك قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان بقصيدة مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاحٍ عشيّةَ هَمَّ صحبُك بالرّواحِ[3]

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء، وقال لهُ : بل فؤادك أنت .

---

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001، 212/1.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص48.

[3] جرير، الديوان، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ط1، (د ت)، 87/1.

2-بلاغة المتكلم: هي ملكة أو صفة قائمة في نفسه، راسخة فيه، يستطيع به أن يؤلف كلاما بليغا في أي غرض يريدهُ، ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى:

أ- الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خَلْقيّة.

ب- الثقافة اللغوية والنحويّة، ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها، وإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وهذه صفات مكتسبة[1].

وعليه فإن البلاغة فنٌّ قولي يعتمد على الموهبة وصفاء الاستعداد، ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين شتى الأساليب، ولابد لطالب البلاغة من أمرين: قراءة عميقة متصلة لروائع الأدب وحفظ ما يستجيدهُ منه، ومرانٌ على التعبير من وقت لآخر عن بعض ما يجول في الخاطر، وتجيشُ به النفس. ولا شك أن تضافر هذين الأمرين معا يعينان على تكوين الذوق الأدبي ونقد الأعمال الأدبية والحكم عليها[2].

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، ص49.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص10.

نشـأة علوم البلاغة

أولا: علم المعاني: هو قواعد يُعرف بها كيفية مطابقة الكلام مُقتضى الحال؛ ليكون وفق الغرض الذي سيق لهُ، فبه نحترزُ عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل إلى غير ذلك من مباحث هذا العلم. فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه، لم يزغ عن أساليب العرب ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال[1].

وعلم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك ففيها تتجاور مسائل علوم البلاغة، ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها.

وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحَوْن بها منحى التخصص والاستقلال، ... وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري (ت 471هـ) ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع. والعجيب أنه لم يحدث بعده تغيير يذكر في هذين العلمين، لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيهما[2].

ثانيا: علم البيان: جاء في لسان العرب: «البيانُ ما بُيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبَان الشيءُ بياناً: اتضح فهو بيِّنٌ... والبيان: الفصاحة واللَّسَنُ، وكلام بيّنٌ فصيح، والبيان : الإفصاح مع ذكاءٍ، والبينّ من الرجال: الفصيح، الظريف، العال الكلام، وفلان أبينُ من

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2006، ص15.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص23.

فلان: أي أفصح منه وأوضح كلاما... والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسَنِ، وأصلُهُ الكشف والظهور» [1].

فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف والإيضاح، وعلو الكلام وإظهار المقصود بأبلغ لفظ.

وفي القرآن الكريم ورد لفظ " بيان" ومشتقاته بهذا المعنى، قال تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ (الرحمن، 1-4)، وقال تعالى :﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:138). وقال أيضا: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (النحل:89).

البيان عند البلاغيين: كانت فنون البلاغة جميعا تسمى بيانا عند البلاغيين، وذلك لتعريفهم البيانَ بأنه المنطق الفصيح المُعربُ عما في الضمير، وهذا ينطبق على علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

وكانت نشأة علوم البلاغة العربية غير مميزة عن بعضها البعض، حتى بدأت الملاحظات البلاغية تأخذ طريقها في مصنفات العلماء[2]، فقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست أن واصل بن عطاء، والكسائي، والأخفش ، ويونس بن حبيب، وقطرب النحوي، والفراء، وأبا عبيدة، والمبرد، وابن الأنباري، والزجاج، وخلف، ألفوا في معاني القرآن، وهم من اللغويين*، وممن أسهم من علماء الكلام: الجاحظ والرّماني، ومن النقاد: الآمدي، والقاضي عبد العزيز الجرجاني، وأبو هلال العسكري، وإن كان كتاب العسكري أكثر دخولا في التخصص. فالجاحظ (ت 255هـ) ألف كتابا سماه " البيان والتبيين"، وقد خطا الجاحظ خطوة طيبة في ملاحظاته البلاغية، التي جمع فيها معظم ما انتهى إلى عصره منها، فتكلم

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بينَ)، 13/67-69.

[2] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص139.

* ينظر: ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 63-100.

عن التشبيه، والاستعارة، والكناية، والحقيقة والمجاز، لكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، واكتفى بتوضيحها عن طريق الأمثلة، وقد عده البعض مؤسس البلاغة العربية.

ويأتي " البيان" لدى الجاحظ بمعنى "البلاغة" مرة، و"البرهان" أخرى، كما يرد بمعنى "روعة التعبير". ويعتبر كتاب أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) "الصناعتين" من أبرز الكتب التي تناولت المباحث البلاغية الشائعة آنذاك، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: البلاغة والفصاحة، وتمييز الكلام جيده ورديئه، ... والتشبيه والأسجاع. وقد عالج موضوعات علم البيان من تشبيه، واستعارة، ومجاز، وكناية[1].

وبقي الأمر مختلطا بين البلاغة والبيان حتى بدايات القرن الخامس الهجري، حيث أفاد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) من جهود سابقيه، فصنف كتابيه : " أسرار البلاغة"، و" دلائل الإعجاز"، واعتبر بهما واضع أسس علم البلاغة العربية، فنظّم علمي البيان والمعاني وطبّقهما على آيات القرآن الكريم، مما يدل على سلامة ذوقه وعظيم إبداعه

وكل ما سلف من دراسات كانت تكتفي بالجوانب النظرية، ولم ترق إلى المستوى التطبيقي، إلا ما كانت تورد من أمثلة غير مفصلة في كثير من الأحايين، حتى كتب الزمخشري (ت 538 هـ) كتابه " الكشاف" في تفسير القرآن الكريم، وقدم فيه تطبيقا رائعا لما سبق وذكره الجرجاني في كتابيه، فقد أورد تفصيلا وأمثلة للتشبيه، والاستعارة ، والكناية، والمجاز، وأضفى عليها من ذوقه الأدبي وعلمه الشاسع[2].

ثالثا: علم البديع: جاء في لسان العرب: «بَدَعَ الشيء يَبْدَعُهُ بَدْعًا وابْتَدَعَهُ: أنشأه وبدأهُ... والمبتدِعُ الذي يأتي أمرا على شبه لم يكن ابتدأه إيّاه، وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر أي أول لم يسبقه أحد... والبديع: المُحدَثُ العجيبُ. والبديع: المُبدِع، وأبدعتُ الشيء: اخترعتُه لا على مثال. والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها، قال تعالى:

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص142،141.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ (البقرة: 117)؛ أي خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق»[1].

وفي اصطلاح علماء البلاغة: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة»[2] على المعنى المراد.

نبذة في تاريخيه: لعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك المحاولة التي قام بها خليفة عباسي وُليّ الخلافة ثم مات مقتولا، وقيل مخنوقا سنة 296 هجرية. هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، والمولود سنة 247 هجرية. لقد كان شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، سهل اللفظ، حسن الإبداع للمعاني، مغرما بالبديع في شعره، وبالإضافة إلى ذلك كان أديبا بليغا مخالطا للعلماء، والأدباء وله بضعة عشر مؤلفا في فنون شتى وصل إلينا منها: ديوانه، وطبقات الشعراء، وكتاب البديع [3].

وإذا كان "عبد القاهر الجرجاني" المتوفى سنة 471 للهجرة صاحب كتابي: "دلائل الإعجاز "، و "أسرار البلاغة" هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني ، فإن "عبد الله ابن المعتز" هو واضع علم البديع، كما يفهم ذلك من كتابه المسمى " كتاب البديع" الذي ألفه سنة 274 للهجرة [4].

إلا أن ابن المعتز أغفل كثيرا من أبواب البديع المعروفة اليوم، ولم يأت إلا بسبعة عشر لونا من ألوانه[5]. وكان يعاصره حينذاك "قدامة ابن جعفر"، فجمع منها عشرين نوعا، ثم جاء من بعدهما "أبو هلال العسكري"، فجمع من الأنواع البديعية سبعة وثلاثين[6].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (بدع)، 06/8.

[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، قدّم له وبوّبه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2000، ص 287.

[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص430.

[4] المرجع نفسه، ص431.

[5] ابن المعتز، كتاب البديع، شرحه وحققه: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص5.

[6] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص213.

والحقيقة أن علم البديع مرّ –منذ أن اكتشفه ابن المعتز وحتى اليوم – بمراحل عديدة فكان ككرة الثلج، كلما دار ت بها الأيام كلما ازدادت ضخامة شأن أي علم مستحدث، فقد تهافت الأدباء والعلماء على دراسته وتوسيعه، وتبويبه، واختاروا لألوانه الأسماء الموحية [1].

هذا وليس في كتاب ابن المعتز ذكر لباحث قبله في قضايا البديع سوى الأصمعي الذي قال إن له بحثا في الجناس، وسوى الجاحظ الذي قال إنه أول من سمى "المذهب الكلامي"* باسمه[2].

ومن النقاد الذين تلقفوا محاولة ابن المعتز العلمية في علم البديع وأضافوا إليها معاصره قدامة بن جعفر في كتابه " نقد الشعر". وقدامة هذا كان نصرانيا ثم اعتنق الإسلام في أواخر القرن الثالث الهجري، وتوفي سنة 337 للهجري في أيام الخليفة العباسي "المطيع لله"[3].

وقدامة بن جعفر أشهر النقاد العرب الذين أثروا حركة النقد الأدبي في اللغة العربية، ودفعوا بها إلى الأمام دفعات قوية، ووجهوا النقد والنقاد وجهة جديدة استمر صداها على طول العصور، وكتابه "نقد الشعر" صار أصلا لجميع الدراسات النقدية العربية[4].

ثم ظهر في القرن الرابع محمد قدامة وعاش بعده أكثر من نصف قرن عالم آخر هو أبو هلال العسكري، الذي حاول في كتابه "الصناعتين" أن يحقق هدفين : احدهما أن يتم في توسع ما بدأه قدامة من بحث صناعة الشعر ونقده، أما ثاني الهدفين، فهو ألا يقف بالبحث الأدبي عند حد الشعر، وإنما يتعداه إلى بحث صناعة الكتابة أو النثر، فليس الأدب شعرا فحسب، وإنما هو شعر ونثر معا[5].

---

[1] ابن المعتز، كتاب البديع، ص6.

* المذهب الكلامي: أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية، تصح نسبتها إلى علم الكلام، لان علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة. (ينظر الهامش: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص433).

[2] المرجع نفسه، ص433.

[3] المرجع نفسه، ص335.

[4] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص55.

[5] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 436.

أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة

الواقع أن البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلط بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها "البيان". وقد أخذت الملاحظات تنشا عند العرب منذ العصر الجاهلي، ثم مضت هذه الملاحظات تنمو بعد ظهور الإسلام لأسباب شتى، منها تحضر العرب، واستقرارهم في المدن، ونهضتهم العقلية، ثم الجدل الشديد الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة. فكان طبيعيا لذلك كله أن تكثر الملاحظات البيانية والنقدية[1].

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي فإننا نجد بالإضافة إلى نمو الملاحظات البلاغية محاولات أولية لتدوين هذه الملاحظات وتسجيلها ، كما هو الشأن في كتب الجاحظ، وبخاصة كتاب "البيان والتبيين" وقد أدى إلى هذه النقلة الجديدة عوامل منها تطور الشعر والنثر بتأثير الحضارة العباسية، ورقي الحياة العقلية فيها، ومنها ظهور طائفتين من العلماء المعلمين عنيتا بشؤون اللغة والبيان، إحداهما طائفة محافظة هي طائفة اللغويين، وهؤلاء كانوا يعلمون رواية الأدب وأصوله اللغوية والنحوية، وكان اهتمامهم بالشعر الجاهلي والإسلامي أكثر من اهتمامهم بالشعر العباسي، وقد هداهم البحث في أساليب الشعر القديم من ناحيتيها اللغوية والنحوية إلى استنباط بعض الخصائص الأسلوبية على نحو ما نجد في كتاب سيبويه من مثل كلامه عن التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، ونحو ذلك [2].

كذلك نلتقي بكتاب "معاني القرآن" للفراء (ت 207 هـ)، والذي يعنى فيه بالتأويل وتصوير خصائص بعض التراكيب، والإشارة إلى ما في آي الذكر الحكيم من الصور البيانية. ثم نلتقي بكتاب" مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 211 هـ) الذي كان

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 201.

[2] المرجع نفسه ، ص202.

معاصرا للفراء، وهذا الكتاب لا يبحث في مجاز القرآن من الجانب البلاغي، وإنما هو بحث في تأويل بعض الآيات القرآنية، وأبو عبيدة هذا هو أول من تكلم بلفظ المجاز، كما ذكر ابن تيمية في كتابه " الإيمان"، ولكنه لم يتكلم عن المجاز الذي هو قسيم الحقيقة[1]، وإنما المجاز عنده يعني بيان المعنى*. ومع هذا فقد وردت في كتابه "مجاز القرآن" إشارات إلى بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض خصائص التعبير النحوية التي لها دلالات معنوية من مثل الذكر والحذف والالتفات والتقديم والتأخير.

أما طائفة العلماء المعلمين الأخرى التي ظهرت في العصر العباسي فهي طائفة علماء الكلام وفي طليعتهم المعتزلة الذين كانوا يدربون تلاميذهم في فنون الخطابة والجدل والبحث والمناظرة في الموضوعات المتصلة بفكرهم الاعتزالي. وكان هذا التدريب يعمق ويمتد حتى يشمل الكلام وصناعته وقيمته البلاغية والجمالية [2].

وقد حفظ لنا كتاب" البيان والتبيين" للجاحظ قدرا كبيرا من ملاحظات المعتزلة المتصلة بالبلاغة العربية، ونجد الجاحظ المعتزلي يورد في كتابه "البيان والتبيين" تعاريف اليونان والفرس والهند للبلاغة [3].

وهذا يعني أن المعتزلة اخذوا يضيفون إلى ملاحظات العرب الخاصة في البلاغة ملاحظات الأمم الأجنبية وخاصة اليونان، ومضوا من خلال ذلك ينفذون إلى وضع المقدمات الأولى لقواعد البلاغة العربية. وأول معتزلي خطا خطوة ملحوظة في هذا السبيل هو رئيس المعتزلة ببغداد بشر بن المعتمر (ت210 هـ)، فعنه نقل الجاحظ صفحات نثر فيها بشر ملاحظات دقيقة في البلاغة، تلقفها من جاء بعده من العلماء، واستعانوا بها على

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 203.

* إن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات: "مجازه كذا"، و" تفسيره كذا"، و " معناه كذا"، و" غريبه "، و"تقديره" و" تأويله" على أن معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة " المجاز" عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى اعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد. (أبو عبيدة، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت)، 19/1).

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 204.

[3] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيَه مُوفَّق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 68/1.

بلورة بعض أصول البلاغة وقواعدها. ولعل اكبر معتزلي جاء بعد بشر بن المعتمر وأولى البلاغة العربية عناية فائقة هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ). فقد ألف في البلاغة كتابه "البيان والتبيين" في أربعة مجلدات ضخام، وقد خطا الجاحظ خطوة غير مسبوقة في ملاحظاته البلاغية، وذلك بالكلام عن التشبيه والاستعارة عن طريق النماذج، مع التفريق بينهما، كما استعمل "المثل" مرادفا للمجاز، وجعله مقابلا للحقيقة، ... . وبهذا كان أول من فطن إلى تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز. ومجمل القول في الجاحظ من جهة البلاغة أنه ألمّ في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية [1].

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 205.

الأسلوب الخبري وأضرُبُه

تعريف الخبر: الخبر ما يصح أن يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا.

ركنا الجملة: كل جملة من جمل الخبر لها ركنان: محكوم عليه، وهو المسند إليه، ومحكوم به، وهو المسند، وما زاد على ذلك في الجملة غير المضاف إليه وصلة الموصول فهو قيد. فإذا قلنا: "سافر الصديق" و "الناجح مسرور" فإن الذي حكم عليه بالسفر أو أسند إليه السفر في الجملة الأولى هو "الصديق"، والذي حكم به للصديق أو اسند له هو "السفر". وعلى هذا يكون "الصديق" هو المحكوم عليه أو المسند إليه، ويكون "سافر" هو المحكوم به أو المسند. وركنا الجملة الثانية هما "الناجح" و"مسرور" ، والذي حكم عليه بالسرور أو اسند إليه السرور هنا هو "الناجح"، والذي حكم به للناجح أو اسند له هو "السرور". وعلى هذا يكون "الناجح " هو المحكوم عليه أو المسند إليه، ويكون "مسرور" هو المحكوم به أو المسند. والمسند إليه عادة هو الفاعل، أو نائب الفاعل، أو المبتدأ الذي له خبر، أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها . والمسند هو الفعل التام، أو خبر المبتدأ أو ما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها [1].

أغراض الخبر: الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

1-إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.

2-إفادة المخاطَب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى ذلك لازم الفائدة.

فالغرض الأول هنا وهو "فائدة الخبر" يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر، أو من يوجه إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه، ويراد إعلامه أو تعريفه به. وهذا الغرض الذي يسميه البلاغيون "فائدة الخبر" يتمثل في جميع الأخبار التي يبغي المتكلم من ورائها تعريف من يخاطبه بشيء أو أشياء يجهلها، ومن ذلك مثلا هذا الخبر التاريخي عن

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 43.

معاوية بن أبي سفيان: "أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وتغلَّب على الشام محاربا لعلي أربع سنين، فكان أميرا وملكا على الشام نحو أربعين سنة، وكان حليما حازما". فمثل هذا الخبر قد قصد به إفادة من يلقى إليه بمضمونه، أي بما اشتمل عليه من الحقائق التاريخية عن أول خلفاء الأمويين معاوية بن أبي سفيان، فالغرض من الخبر هنا إذن هو "فائدة الخبر" [1].

أما الغرض الثاني من الخبر فهو ما سماه البلاغيون "لازم الفائدة"، وهو ما يقصد المتكلم من ورائه أن يفيد مخاطبه انه، أي المتكلم، عالم بحكم الخبر، أي مضمونه مثل : إنّك لتكظم الغيظ، وتحلم عند الغضب، وتعفو مع القدرة، وتصفح عن الزلة، وتستجيب لنداء المستغيث بك. فالمتكلم في هذا المثال لا يقصد منه أن يفيد من يخاطبه شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه، لأن ذلك يعلمه المخاطَب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما يريد المتكلم أن يبين له أنه عالم بما تضمنه هذا الكلام. فالمخاطَب إذن لم يستفد علما بالخبر نفسه، لأنه يعلمه مسبقا، وإنما استفاد إن المتكلم عالما به [2].

وقد يكون القصد من إلقاء الخبر أغراض أخرى، غير الفائدة ولازمها، وهذه الأغراض يستطلعها اللبيب ويلمحها من سياق الكلام، ومن هذه الأغراض ما يلي:

1-إظهار التحسر: كقول أم مريم: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ (آل عمران: 36) فهي تعلم أن الله تعالى عالم بالذي وضعت، ولكنها تتحسر، إذ ولدت أنثى، وكانت تود لو كان المولود ذكرا، ليكون وقفا على خدمة بيت المقدس.

2-**إظهار الضعف:** كقول زكريا عليه السلام يخاطب ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم :4). فزكريا عليه السلام لا يريد بهذا القول أن

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص45، 46.

[2] المرجع نفسه، ص47، 48.

يخبر الله تعالى بحاله، إذ يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء، ولكنه قصد مجرد إظهار ضعفه ونفاذ قوته [1].

3- **الفخر**: كقول عمرو بن كلثوم:

إذَا بَلَغَ الفِطامَ لنَا وليد تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينَا [2].

فعمرو لا يقصد الفائدة ولا لازمها، وإنما يقصد الفخر بقومه [3].

4-**الاسترحام والاستعطاف**: كقول يحي البرمكي يخاطب الخليفة هارون الرشيد:

إن البرامـكَـة الـذيـ ـن رُمَوْ لديك بداهية

صُفْرُ الوجوه عليهمُ خِلَـعُ المذلَّـة باديةٌ [4].

فيحي البرمكي لا يقصد أن يخبر الرشيد بما وصل إليه حاله ، وحال ذوي قرباه من الذل، لان الرشيد هو الذي أمر به، فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك بأن يفيده أنه عالم بحال نفسه، وذوي قرابته، وإنما يستعطفه، ويسترحمه، ويرجو شفقته، عسى أن يصغي إليه، فيعود إلى البر به والعطف عليه.

5-**التوبيخ: كقولك** : (الربا حرام) لمسلم يتعامل بالربا، فليس المقصود من هذا الخبر إفادة المخاطَب حرمة الربا، لأنه يعلم ذلك بحكم إسلامه، وليس المقصود إفادته أن المتكلم عالم بهذا الحكم، وإنما المقصود من هذا الخبر هو توبيخ المخاطَب على تعامله بالربا، فكان المتكلم يقول: ما ينبغي ل كان تتعامل بالربا وأنت مسلم.

6-**الزجر والعظة**: كقول الواعظ لإنسان غافل عن الآخرة : (الموت حوض وكل الناس وارده) فليس المقصود من الخبر إفادة المخاطَب مضمونه ، لأنه يعلمه، وليس

---

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 18.

[2] عمرو بن كلثوم، الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص91.

[3] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 18.

[4] ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1997، 327/5.

القصد إفادته أن المتكلم عالم به، فإن ذلك مما لا يخفى على أحد، وإنما القصد زجره وتقديم الموعظة له، حتى يفيق من غفلته، ويعمل لما بعد موته[1].

أضرب الخبر: على أن الخبر سواء أكان الغرض منه "فائدة الخبر" أو لازم الفائدة لا يأتي على ضرب واحد من القول. وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطَب عند إلقاء الخبر، والمخاطَب بالنسبة لحكم الخبر، أي مضمونه، له ثلاث حالات هي [2]:

1-أن يكون خالي الذهن من الحكم المراد إفادته إياه، بمعنى انه لم يسبق له علم بمضمونه قبل إلقائه إليه، ومثل هذا المخاطَب يلقى إليه الخبر خلوا من التوكيد، لتمكن معنى الخبر في ذهنه، إذ وجده خاليا، وخلوُّ الذهن عن الشيء يوجب استقراره فيه[3]، على حد قول الشاعر:

أَتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكنا[4].

ويسمى هذا الضرب "ابتدائيا"، لأنه لم يسبق بطلب ولا إنكار .

2-أن يكون مترددا في الحكم المراد إفادته إياه طالبا وقوفه على حقيقة الأمر، ومثل هذا المخاطَب يحسن أي يُلقى إليه الخبر، وعليه مسحة من اليقين، تجلو له الأمر، وتدفع عنه الشبهة، فيؤكد له الخبر بمؤكد واحد، محوًا لتردده[5]، ومن أمثلة هذا الضرب قول السريّ الرفّاء:

إن البناء، إذا ما انهدّ جانبه، لم يأْمَنِ النَّاسُ أنْ يَنْهَدّ بَاقيهِ[6].

---

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 19، 20.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 49.

[3] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 21.

[4] ديك الجن الحمصي ، الديوان ، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2004، ص 283.

[5] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 21.

[6] السريّ الرفّاء، الديوان، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص457.

ويسمى هذا الضرب "طلبيا" لأنه مسبوق بطلب، إذ إن المخاطَب المتردد طالب بلسان حاله وقوفه على جلية الأمر.

3-أن يكون منكرا للحكم المراد إخباره به معتقدا غيره، ومثل هذا المخاطب يجب تأكيد الخبر له تأكيدا يتناسب مع إنكاره قوة وضعفا*، فتقول: "إني لصادقٌ" لمن ينكر صدقك، و" والله إني لصادق" لمن يزداد إنكاره [1]. ويسمى هذا الضرب من الخبر «إنكاريا".

مؤكدات الخبر: الأدوات التي يؤكد بها الخبر كثيرة منها: إنّ، ولام الابتداء، وأمَّا الشرطية، والسين، وقد، والقسم، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه [2].

* وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره، من جهة القوة والضعف.

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 22.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 51.

الأسلوب الإنشائي وأضربه

الإنشاء في اللغة: الإيجاد والاختراع، جاء في لسان العرب: « أنشأه الله: خلقه ...وأنشأ الله الخلق، أي ابتدأ خلْقَهم... وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ *﴾ (الأنعام: 141)، أي ابتدعها وابتدأ خلقها» [1]، وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ﴾ (الملك: 23)، وقوله أيضا:﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ ۚ﴾ (العنكبوت:20).

وإذا كان الإنشاء قسيم الخبر، وكان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإن الإنشاء إذن هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

أقسام الإنشاء: الإنشاء قسمان: طلبي وغير طلبي.

1-**الإنشاء الطلبي:** هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وأهم أنواع الإنشاء الطلبي خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء*.

أولا: الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا. وللأمر أربع صيغ هي :

أ- **فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة: 103).

ب-**المضارع المقرون بلام الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ (قريش:3،4)

---

* معروشات: تعني الكروم، وغير معروشات: تعني النخل والزرع.

[1] ابن منظور، لسان العرب، 170/1، 172.

* نقول ذلك لأن من أنواع الإنشاء الطلبي أيضا "العرض والتحضيض"، العرض أداته "ألَا"، والتحضيض أداته "هلَّا"، ويجمعهما التنبيه على الفعل، إلا أن في التحضيض زيادة توكيد وحث، وهما يختلفان في أن العرض طلب مع لين ورفق، والتحضيض مع حث وإزعاج.

ج-**اسم فعل الأمر:** ومنه "عليكم" اسم فعل أمر بمعنى "الزموا" نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ (المائدة: 105).

د- **المصدر النائب عن فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ (محمد: 4). أصله فاضربوا الرقاب ضربا.

ثانيا: النهي: وهو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام. وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ "لا" الناهية الجازمة نحو قوله تعالى:﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ (البقرة: 283).

ثالثا: الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة. وأدوات الاستفهام كثيرة منها: الهمزة، وهل، ومن، ومتى، وكيف، وأين، وأيّان، وما، وكم.

رابعا: التمني: وهو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، أما لكونه مستحيلا، والإنسان كثيرا ما يحب المستحيل ويطلبه، وأما لكونه ممكنا غير مطموع في نيله.

فالأول: وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا[1]، مثل قول الشاعر:

فيَا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْماً، فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المَشيبُ[2].

والثاني: وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنا غير مطموع في نيله، نحو قوله تعالى:﴿ يَـٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ (القصص: 79).

واللفظ الذي يدل بأصل وضعه اللغوي على التمني هو "ليت"، وقد يُتَمَنَّى بثلاثة ألفاظ أخرى لغرض بلاغي، وهذه هي: "هل"، و"لعل"، و"لو".

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 65-70.

[2] أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، (د ط)، 1986م، ص46.

خامسا: النداء: وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة، وأحرف النداء أو أدواته ثمان: الهمزة، و"أيْ"، و"يا"، و"أيا"، و"هيا"، و"آ"، و"آيْ"، و"وا".

وهذه الأدوات في الاستعمال نوعان:

أ- الهمزة، وأيْ لنداء القريب.

ب- والأدوات الست الأخرى لنداء البعيد [1].

2- **الإنشاء غير الطلبي:** هو الكلام الذي لا يستدعي مطلوبا غير حاصل، وله أساليب وصيغ كثيرة منها:

أولا: أساليب المدح والذم: مثل نعم وبئس، وحبذا و لاحبذا. قال تعالى:﴿ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ (الكهف: 31).

ويدخل في ضمن أساليب المدح والذم: الأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم، كقولك: طاب عليٌّ نفسا، وخبُث خالد أصلا.

ثانيا: صيغ العقود: من نحو قولك: بعتُك هذا الثوب، ووهبت لك هذه الزجاجة، وأعتقت ذلك العبد، وهكذا.

ثالثا: أساليب القسم: ويكون بأحرف ثلاثة تجر ما بعدها وهي: الباء، والواو، والتاء، تقول: والله إن هذا لحقٌ، وبالله ما فعلت ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ (الأنبياء: 57).

كما يكون القسم بغير تلك الأحرف، من مثل الفعل: "أقسمُ" أو ما في معناه من مثل: "أحلف".

رابعا: صيغ التعجب: التعجب في حقيقته أن ترى الشيء يعجبك، تظن أنّك لم تر مثله، ويكون قياسا بصيغتين: " ما أفعله"، و" أفعِل به". فتقول: ما أجملَ السماءَ، وأَكْرِم بزيد.

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص71-75.

ويكون سماعا بصيغ شتى نحو: لله دَرُّه عالماً، وقوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ (البقرة:28).

خامسا: أساليب الرجاء: ويكون بحرف واحد هو: "لعل"، وبثلاثة أفعال هي: "عسى"، و"حرى"، و"اخلولق". تقول: عسى الله أن يأتيَ بالفتح، وحرى الغافل أن يصحوَ، واخلولقت السماء أن تمطر.

وهذا النوع من الإنشاء (غير الطلبي) خُلوٌ من الأسرار البلاغية واللطائف الأدبية، ولذا لم يهتم به علماء البلاغة. أما الإنشاء الذي هو موضع اهتمام البلاغيين، لاختصاصه بكثير من الدلالات البلاغية فهو "الإنشاء الطلبي" [1].

[1] ينظر: أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 64–66، وينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 67–70.

الفصل والوصل

من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، أو بعبارة أخرى: «العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها أخرى، ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص والأقوام طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل. ذاك لغموضه ودقة مسلكه»[1].

والوصل في اللغة: «ضدُّ الهِجران، والوصل خلاف الفصل»[2].

وأما في اصطلاح علماء المعاني فيعني عطف جملة على أخرى بـ"الواو" فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى.

أما الفصل في اللغة: فيعني القطع، جاء في لسان العرب: «الفصل: بَوْنٌ ما بين الشيئين،... وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع »[3].

ويقصد علماء المعاني بالفصل: ترك ربط الجملتين بواو العطف.

وبعد، فلكل من الفصل والوصل بالواو في الكلام مواضع خاصة تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام.

مواضع الفصل: يجب الفصل في ثلاثة مواضع:

1-أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها. ويقال حينئذ أن بين الجملتين "كمال الاتصال".

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص152.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصل)، 726/11.

[3] المرجع نفسه، مادة (فصل)، 521/11.

أ- فمن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى[1]. قول المتنبي:

ومَا الدَّهرُ إلاّ من رواة قصائدِي إذا قلتُ شعرًا أصبح الدَّهر منشدَا[2].

فإذا تدبرنا جملتي البيت وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي: "إذا قلتُ شعرًا أصبح الدَّهر منشدَا" لم تجيء في الواقع إلا توكيدا للجملة الأولى وهي: "ومَا الدَّهرُ إلاّ من رواة قصائدِي" لأن معنى الجملتين واحد.

ب- ومن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى[3]. قول الشاعر:

والناسُ بالناسِ مِن حضر وبادية بَعضٌ لبعضٍ وإنْ لَم يشعروا خَدَمُ[4].

فإذا تأملنا جملتي هذا البيت وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي: " بَعضٌ لبعضٍ وإنْ لَم يشعروا خَدَمُ" لم تأت إلا لإيضاح إبهام الأولى وهي : "والناسُ بالناسِ مِن حضر وبادية" فهي بيان لها .

ج- ومن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى قوله تعالى:﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء: 132-134).

فالتأمل في الآية الكريمة يظهر أن بين جملة: (أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ) وجملة (أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ) كما الاتصال، ذلك لأن الجملة الثانية بدل بعض من كل من الجملة الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

2-والموضع الثاني من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجمل هو: أن يكون بين الجملتين "تباين تام"، وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ أن بين الجملتين: "كمال الانقطاع".

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 154.

[2] المتنبي، الديوان، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص 337.

[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 156.

[4] أبو العلاء المعري، ديوان اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، مكتبة الخانجي ، القاهرة، (د ط)،(د ت)، 2/ 288.

أ- فمن الأمثلة التي يجب فيها الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا وإنشاء[1]. قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصّبرا [2].

فبين الجملة الثانية والأولى في هذا البيت تمام التباين وغاية الابتعاد، لاختلافهما خبرا وإنشاء، وذلك لان الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومن أجل ذلك تعين الفصل بينهما.

ب- ومن الأمثلة التي يجب فيها الفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما، أن تذكر جملة إخبار أو حكم أو أمثال كل منها مستقل بنفسه في المعنى، مثل: " خير الكلام ما قل ودل، رأس الحكمة مخافة الله، حب الوطن من الإيمان، العدل أساس الملك".

فبين هذه الجمل كما ترى تباين تام، إذ لا مناسبة بينها في المعنى.

3- والموضع الثالث من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، ويقال حينئذ أن بين الجملتين " شبه كمال الاتصال".

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ﴾ (الذاريات: 28).

ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة (قَالُوا لَا تَخَفْ) عن جملة (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كان سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا؟ فأجيب "قالوا لا تخف"[3].

مواضع الوصل: ويجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع أيضا:

أ- إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي. وتفصيل ذلك أنه إذا أتت جملة بعد جملة وكان للأولى محل من الإعراب وقصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم فإنه

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 157، وينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 90-93.

[2] القالي، كتاب الأمالي، مع كتابي ذيل الأمالي والنوادر، تحقيق: الشيخ صلاح بن فتحي هلل وسيد بن عباس الجيلمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص117.

[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 158، 159، وينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 95.

يتعين في هذه الحالة عطف الثانية على الأولى بالواو، تماما كما يعطف مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في حكم إعرابي واحد. قال الشاعر:

أنت أيقظتني وأطلعت عيني على عالم من السرِّ أخْفى

تأمل في هذا البيت الجملتين: "أيقضتني" و " وأطلعت عيني على عالم من السرِّ أخْفى" تجد أن للجملة الأولى موضعا من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها.

و أن الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانيا للمبتدأ، ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف.

ب- ويجب الوصل بين الجملتين إذا اتفقتا خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِی نَعِيمٖ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِی جَحِيمٖ ﴾ (الانفطار: 13، 14).

ج- ويجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود. وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤال أداته "هل" أو "الهمزة" مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية. ومن أمثلة ذلك:

1- لا ولُطْفُ الله به. تقول ذلك في جواب من سألك: هل تحسنت صحة صديقك؟

2- لا وحفظك الله. تقول ذلك في جواب من سألك: ألك حاجة أقضيها لك.ف "لا" في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية تقديرها في المثال الأول " لم تتحسن صحته" وتقديرها في المثال الثاني "لا حاجة لي"، وكل من جملتي " لطف الله به" و " حفظك الله" جملة دعائية إنشائية. في المثال الأول "لا لطف الله به" وفي الثاني "لا حفظك الله". ولكن الفصل على هذه الصورة يجعل السامع يتوهم أنك تدعو عليه في حين انك تقصد الدعاء له. ولذلك وجب العدول هنا عن الفصل إلى الوصل[1].

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 160-163، وينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 100، 101.

التقديم والتأخير

من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة، من أجل ذلك كان لابد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر[1].

فالتقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى[2].

والآن وعلى ضوء هذه المقدمة نذكر أن أهم الدواعي والأغراض البلاغية التي توجب التقديم والتأخير في الكلام هي:

1-التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة، نحو قول الشاعر:

ثلاثةٌ تُشرِقُ الدنيا ببَهْجَتِها شمسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقمَرُ

إذ الأصل: الشمس والقمر وأبو إسحاق ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها. فهنا قدم المسند إليه وهو "ثلاثة" واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر، وهي "تشرق الدنيا ببهجتها". فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعريف هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تتألق وتضيء. فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر.

2-تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطيّر: فالتعجيل بالمسرة نحو: الجائزة الأولى في المسابقة كانت من نصيبك، ونحو: براءة المتهم حكم بها القاضي، والإفراج عنه تم اليوم. والتعجيل بالمساءة نحو: الفشل أصيب به العدو اليوم، والخسائر في جيشه كبيرة.

---

[1] أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 133.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص97.

3-كون المتقدم محط الإنكار والتعجب نحو قوله تعالى: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ (مريم: 46). فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله : (أراغب أنت) ولم يقل: (أأنت راغب) وذلك لأهمية المتقدم وشدة العناية به، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن ألهته، وان ألهته لا ينبغي أن يرغب عنها. وهذا بخلاف ما لو قال: (أأنت راغب عن ألهتي؟)[1].

وفي هذا المقام نشير إلى قضية الاستفهام بالهمزة التي تطرق إليها عبد القاهر الجرجاني بالأمثلة والشرح، إذ قال: « إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه... ... فهذا من الفرق لا يدفعه دافع، ولا يشك فيه شاك » [2].

4-تقوية الحكم وتقريره: وذلك كقولك عن شخص كريم: " وهو يعطي الجزيل" ، فأنت لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق انه يفعل إعطاء الجزيل. فتقديم المسند إليه هو " وتكريره في الضمير المستتر في " يعطي" أدى إلى تقوية الحكم وتقريره. وعلى ضوء ذلك يتضح الفرق من حيث تقوية الحكم وتقريره بين "هو يعطي الجزيل" و "يعطي الجزيل".

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (المؤمنون: 59). فهذا أبلغ في تأكيد نفي الإشراك مما لو قيل: والذين بربهم لا يشركون أو لا يشركون بربهم.

5- التخصيص وهذا يعني أن المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي بشرط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم اقله ولكنه مقول غيري.

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 133.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص88.

فأنت في هذا المثال تنفي وقوع المقول منك، ولكنك لا تنفي وقوعه من غيرك. فتقديم المسند إليه "إنا " أفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك.

تلك أهم الأغراض والدواعي البلاغية التي تقتضي التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه. ولكن بالإضافة إلى ذلك هناك نوع آخر من التقديم يكون مقصورا على تقديم متعلقات الفعل عليه من مثل المفعول والجار والمجرور والحال وما أشبه ذلك. فالأصل في العامل أن يقدم على المعمول، فإذا عكس الأمر فقدم المعمول على العامل فإنما يكون ذلك لغرض بلاغي يقتضيه، وفي هذه الحالة يكون التقديم ابلغ من التأخير وفيما يلي شيء من البيان لذلك:

تقديم متعلقات الفعل عليه:

1-فمن تقديم المفعول على الفعل قولك: "محمدا أكرمتُ" والأصل " أكرمت محمدا" فإن في قولك بالتقديم " محمدا أكرمت" تخصيصا لمحمد بالكرم دون غيره، وذلك بخلاف قولك "أكرمت محمدا"، لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في أبقاع الكرم على أي مفعول شئت، بأن تقول: أكرمت خالدا أو عليا أو غيرهما. فتقديم المفعول على الفعل هنا قصد به اختصاصه به، أي اختصاص محمد دون غيره بالإكرام.

2-ومن تقديم الجار والمجرور على الفعل قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (البقرة: 210)، فإن تقديم الجار والمجرور دلّ على أن مرجع الأمور ليس إلا لله وحده، على حين لو وردت الآية من غير تقديم وقيل: "ترجع الأمور إلى الله" لاحتمل إيقاع مرجع الأمور إلى غير الله وهذا محال.

3-ومن تقديم الحال على الفعل كقولك: " مبكرا خرجت إلى عملي" تخصيصا لحالة التبكير بالخروج دون غيرها من الحالات، وذلك بخلاف قولك:" خرجت إلى عملي

مبكرا" لأنك في تقديمك الفعل تكون بالخيار في إيقاعه مقيدا بأي حالة شئت، بأن تقول : خرجت إلى عملي متأخرا ، أو مسرعا، أو مسرورا، أو غير ذلك [1].

وعلماء البلاغة ومنهم الزمخشري يرون أن تقديم متعلقات الفعل عليه على النحو السابق إنما هو للاختصاص. ولكن ابن الأثير يرى أن تقديم متعلقات الفعل عليه يكون لواحد من غرضين: أحدهما الاختصاص، والآخر مراعاة نظم الكلام، وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخر المقدم زال ذلك الحسن، وهذا الوجه عنده أبلغ وأوكد من الاختصاص. فمن الأول عنده وهو التقديم الذي يكون الغرض البلاغي منه "الاختصاص" قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (الزمر: 66). فإنه إنما قال: " بل الله فاعبد " ولم يقل: " بل اعبد الله" لأن المفعول وهو لفظ الجلالة "الله" إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره. ولو قال: "بل اعبد " لجاز وقوع فعل العبادة على أي مفعول شاء[2].

ومن الثاني وهو التقديم الذي يكون الغرض البلاغي منه مراعاة نظم الكلام قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5). ويرى الزمخشري إن التقديم في هذا الموضوع قصد به الاختصاص، ولكن ابن الأثير يرى أن المفعول لم يقدم على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: "نعبدُك ونستعينك" لم يكن له من الحسن ما لقوله: "إياك نعبد وإياك نستعين". ألا ترى انه تقدم قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: 2-4)، فجاء بعد ذلك قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وذاك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون. ولو قال: " نعبدك ونستعينك" لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن [3].

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 134، 135، وينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 98.

[2] ابن الأثير، المثل السائر، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط2، (د ت)، 211/2.

[3] ابن الأثير، المثل السائر، 211/2.

أسلوب القصر

تعريف القصر: جاء في لسان العرب: « القصر: الحَبس... ويقال: قصرت نفسي عن هذا أقْصُرها قصْرا... وأقصَرَ فلان عن الشيء يُقْصِر إقْصَارا إذا كفّ عنه وانتهى. والإقصار: الكفّ عن الشيء... يقال: قصرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه وألزمتها إياه. قال الله تعالى:﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ (الرحمن:72)، أي قُصِرْن على أزواجهن، أي حُبسن فلا يُردن غيرهم، ولا يطمحن إلى من سواهم»[1].

والقصر في اصطلاح علماء المعاني: تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة [2]. أو هو: إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه [3].

أركان القصر: يتكون أسلوب القصر من طرفين هما: المقصور والمقصور عليه، ومن أداة القصر. تقول مثلا: ما المتنبي إلا شاعر، تريد بهذا التعبير تخصيص المتنبي بـ "الشعر" وقصره على هذه الملكة، تقول هذا ردا على من ظن أنه شاعر وكاتب مثلا. فالمقصور "المتنبي" ، والمقصور عليه " شاعر"، وطريق القصر"ما+ إلا".

طرق القصر: للقصر طرق كثيرة ، وأشهرها في الاستعمال أربعة وهي:

1-النفي والاستثناء، مثل : لا هادي إلا اللهُ، وما محمد إلا رسول. وتلاحظ هنا أن القصر سواء أكان صفة على موصوف ، أم قصر موصوف على صفة، فإن المتقدم وهو المقصور، وما بعد إلا (حرف الاستثناء) هو المقصور عليه دائما، وليس بلازم أن تكون أداة الاستثناء هي "إلا" بل قد تحل محلها " غير" أو "سوى" وما في معناهما [4]. ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر)، 5/97-99.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 142.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 2002، ص 165.

[4] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 112.

لعمرُكَ: ما الحياةُ لكلّ حيّ إذا فقد الشّبابَ سوى عذابِ[1]

2-إنما، ومن أمثلة ذلك: إنما شوقي شاعر، إنما الدنيا غرور. فالمقصور عليه معها يكون مؤخّرا وجوبا.

3- القصر أو العطف بلا، وبل، ولكن،[2] نحو: الفخر بالعلم لا بالمال، وما الفخر بالمال بل بالعلم، وما الفخر بالنسب لكن بالتقوى.

فالمقصور عليه مع "لا" العاطفة هو الواقع قبلها والمقابل لما بعدها. والمقصور عليه مع "بل" أو "لكن" العاطفتين هو الواقع ما بعدهما.

4-تقديم ما حقه التأخير، نحو: على الله توكلنا. وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم[3].

أقسام القصر: يقسم البلاغيون القصر إلى ثلاثة أقسام:

- قصر حقيقي وإضافي.
- قصر باعتبار الطرفين.
- قصر باعتبار حال المخاطب.

1-في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع (أو تبعا لغرض المتكلم): ينقسم القصر تبعا لغرض المتكلم إلى قسمين:

أ- قصر حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلا، نحو لا إله إلا الله. فالألوهية صفة لا تتعدى ولا تتجاوز موصوفها وهو الله عز وجل إلى موصوف آخر مطلقا.

ب- قصر إضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء أخر معين ، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا

---

[1] ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002، 167/1.

[2] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 113.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 168، 169.

مسافر، فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلا وليس قصدك انه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

2-في تقسيم القصر باعتبار طرفيه: ينقسم القصر باعتبار "طرفيه المقصور والمقصور عليه" سواء أكان القصر حقيقيا أم إضافيا إلى نوعين:

أ- قصر موصوف على صفة.

ب- قصر صفة على موصوف [1].

فقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا هو ما لا يتعدى فيه الموصوف تلك الصفة إلى أي صفة أخرى. نحو : ما الله إلا خالق كل شيء. وهذا النوع من القصر لا يكاد يوجد، وذلك لأن أي موصوف له من الصفات ما يتعذر الإحاطة بها، ولهذا من المحال إثبات صفة واحدة للموصوف وقصره عليها ونفي ما عداها من صفاته الأخرى نفيا شاملا. (هذا يعني أن القصر الحقيقي يكثر في قصر الصفة على الموصوف ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة).

وقصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا: هو ما لا تتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف إلى أي شيء أخر، مثل: لم يبن الأهرام إلا المصريون، فالقصر هنا قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ، قصرا يراد به أن صفة بناء الأهرام مقصورة على المصريين لم تتجاوزهم إلى سواهم من الناس.

وقصر الموصوف على الصفة قصرا إضافيا: هو ما لا يتعدى فيه الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى معينة، وان كانت الصفة تتجاوزه إلى غيره. مثل: ما المتنبي إلا شاعر، فقد قصر المتنبي على صفة الشاعرية لا يتجاوزها إلى غيرها من الصفات كالخطابة والكتابة، وان كانت صفة "الشاعرية" تتجاوز المتنبي إلى غيره من الناس.

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 148، 149.

وقصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا هو: ما لا تتجاوز فيه الصفة الموصوف إلى غيره من الموصوفات، أو الموصوفين وان كان هو يتجاوزها إلى صفات أخرى. ومن أمثلة ذلك: " لا يتحمل الشدائد إلا الأقوياء" ففي هذا القصر الإضافي قصرت صفة "تحمل الشدائد" على الأقوياء بمعنى أنها لا تتجاوز الأقوياء إلى غيرهم، وإن كان الموصوف يتجاوزها إلى غيرها من الصفات [1].

واعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التي تدل على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامدا أو مشتقا، فعلا أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت [2].

3-القصر باعتبار حال المخاطَب: وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، الذي ينقسم باعتبار حال المخاطَب إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.

أ- فإذا اعتقد المخاطَب الشِّركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، فهذا " قصر إفراد"، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (النساء: 171). ردا على من اعتقد أنّ الله ثالث ثلاثة.

ب- وإذا اعتقد المخاطَب عكس الحكم الذي تثبته بالقصر، فهذا "قصر قلب". نحو : ما سافر إلا علي، ردا على من اعتقد أن المسافر خليل لا علي، فقد قلبتَ وعكسْتَ عليه اعتقاده.

ج- وإذا كان المخاطَب مترددا في الحكم بين المقصور عليه وغيره، فهذا "قصر تعيين". مثل: إذا كان المخاطَب مترددا في كون الأرض متحركة أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة . ردا على من شكّ وتردد في ذلك.

فإذا قلت في قصر الصفة على الموصوف: "الكريم محمد لا علي" وكان المخاطَب يعتقد اشتراك محمد وعلي في صفة الكرم كان القصر "قصر إفراد".

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، ص 150-152.وينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 170، 171.

[2] ينظر: الهامش : احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص171.

وإذا كان المخاطَب يعتقد عكس ما تقول كان القصر "قصر قلب".

وإذ كان المخاطَب مترددا لا يدري أيهما الكريم كان القصر" قصر تعيين".

وإذا قلت في قصر الموصوف على الصفة:" ما احمد إلا تاجر" وكان المخاطَب يعتقد اتصاف أحمد بالتجارة والزراعة كان القصر "قصر إفراد" .

وإذا كان المخاطَب يعتقد اتصاف أحمد بالزراعة لا التجارة، كان القصر" قصر قلب".

وإذا كان المخاطَب مترددا لا يدري أي الصفتين هي صفة أحمد، كان القصر" قصر تعيين".

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلقات [1].

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 153، 154، وينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 173.

الحقيقة والمجاز

إذا تتبعنا نشأة الكلام عن "الحقيقة والمجاز" فإننا نجد أن الجاحظ من أوائل من عرضوا لهذا الموضوع بالبحث. والجاحظ إذ يتناول قضايا البيان العربي لا يهتم كثيرا بصبها في قوالب التعريفات والتحديدات على عادة رجال البلاغة من بعده. وإنما نراه يسوق النماذج عليها من بليغ القول نثرا وشعرا، مع شرح بعضها أحيانا أو التعليق عليها، تاركا لمن يهمهم أن يعرفوا مفهومه لأي موضوع بلاغي طرَقه أن يستنبطُوه من خلال شرحه له [1].

ففي كلامه عن الحقيقة والمجاز يقول: «وإذا قالوا: أكله الأسدُ ، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسودُ، فإنما يعنون النَّهشَ واللَّدغَ، والعضَّ فقط. وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (الحجرات: 12). ويقولون في باب آخر :فلان يأكل الناس، وإن لم يأكل من طعامهم شيئا، فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز»[2].

فالأكل في قوله: "أكله الأسد" حقيقي، أما في الأمثلة الأخرى فالأكل على اختلاف أنواعه مجازي كما ذَكَرَ.

فمن هذه الأمثلة يتضح أن المجاز عند الجاحظ مقابل للحقيقة، وأن الحقيقة في مفهومه تعني " استعمال اللفظ فيما وضع له أصلا"، كما أن المجاز عنده هو " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي".

ومن معاصري الجاحظ الذين عرضوا لذات الموضوع من زاوية خاصة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ)، فقد اهتم ابن قتيبة فقط بالرد على من أنكروا المجاز وزعموا أن الكلام كله حقيقة ولا مجاز فيه. وممن توسع في موضوع الحقيقة والمجاز ضياء الدين الأثير (ت 637 هـ) فقد عرفها بقوله: « الحقيقة اللفظية هي دلالة اللفظ على

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني– البيان– البديع، ص 329.

[2] الجاحظ، الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط3، 1997، 178/5، 179.

المعنى الموضوع له في أصل اللغة، والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره »[1].

وأما عبد القاهر الجرجاني فقال: «كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع- وإن شئت قلت: في مواضعة- وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة... ... وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها»[2].

ويقول في كتابه دلائل الإعجاز: «إن الحقيقة أن يَقِرَّ اللفظ على أصله في اللغة، والمجاز أن يزال عن موضعه ويستعمل في غير ما وضع له»[3].

أقسام المجاز: يقسم علماء البلاغة المجاز قسمين :

1-المجاز العقلي أو الحكمي أو الإسنادي.

2-المجاز اللغوي بفرعيه: المجاز المرسل وعلاقاته، والمجاز التشبيهي باستعاراته وأقسامها.

المجاز اللغوي علاقاته وأنواعه: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة أو غيرها مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وتلك العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي التي تحدد نوع المجاز، إن كان مجازا مرسلا أم كان استعارة، وإن كانت غير المشابهة فذلك هو المجاز المرسل، والنوعان يتحددان بالقرائن وهي إما لفظية ظاهرة في التعبير أو حالية تدرك من السياق العام للكلام. ولا بد من التذكير أن العلاقة عند البلاغيين هي الرابط المعنوي بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، إذ يصح الانتقال من الأول إلى الثاني في مثل: "رأيت زهرة تحملها أمها"، و تريد طفلة كالزهرة في جمالها ونضارتها، والعلاقة المشابهة في الجمال والنضارة، والقرينة حالية[4]. وقال الشاعر:

---

[1] ابن الأثير، المثل السائر، 85/1.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 196، 197.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 238.

[4] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص181.

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام[1].

فالمجاز في "بلادي"، والبلاد لا تجور، وإنما يريد ناس البلاد وأهلها، فالعلاقة المحلية، والقرينة لفظية (جارت)، والمجاز لغوي: مجاز مرسل ، لأن العلاقة غير المشابهة.

ويتضح من المثالين المتقدمين إن المجاز اللغوي يقسم قسمين:

أ- المجاز المرسل .

ب-والاستعارة أو المجاز التشبيهي.

[1] قتادة بن إدريس، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، 222/4.

المجاز المرسل:

سمي مرسلا لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلاقة محددة، وهو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، واسم العلاقة يفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة. والمجاز المرسل علاقاته كثيرة أهمها:

1- **السببية:** وذلك أن يطلق لفظ السبب ويراد المُسبَّبُ من ذلك قولك: "رعى جوادي المطر" أي النبات، أو أكلت الماشية الغيث: أي النبات، لأن المطر والغيث سببان في وجود النبات.

2- **المُسبَّبِيَة:** وذلك أن يطلق لفظ المُسبَّب ويراد منه السبب في مثل قولك: "أمطرت السماء نباتا"، فذكرتَ النبات وأردتَ المطر، والنبات مُسبَّبٌ عن المطر الذي هو السّبب، ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ (النساء: 10)، فالمجاز في الآية الكريمة هي لفظة "نارا" أي مالا تتسبب عنه النار عقابا، فأطلق لفظ المُسبَّبِ "النار" ، وأريد به السّبَبُ الذي هو "المال.

3- **الجزئيَّة:** وهي تسمية الشيء باسم جزئه؛ أي أن تذكر الجزء وتريد الكل، مثل قوله تعالى: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ (النساء:92). ذكر الجزء وهي الرقبة، وأراد الكل، وهو العبد أو المملوك شخصا كاملا.

4- **الكُليّة:** وهي تسمية الشيء باسم كله؛ أي أن تذكر الكل وتريد الجزء، مثل: شربت ماء النهر، فأنت لا تقدر أن تشرب ماء النهر كلّه ، وتريد الجزء منه، ومثله قوله تعالى على لسان نوح :﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ (نوح: 5-7). فـ"أصابعهم" في هذه الآية مجاز، فقد أطلقت الأصابع وأريد أنامل،

والإنسان لا يستطيع أن يجعل أصابعه جميعا في أذنيه. فهذا مجاز أطلق فيه الكل وأريد الجزء، فالمجاز مرسل علاقته الكلية، والقرينة حالية هي استحالة إدخال الأصابع جميعها في الأذن.

5- **الماضوية:** (اعتبار ما كان): وهو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي، في مثل: شربت بُنًّا جيدا، وتريد قهوة كانت بنا . وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ (طه: 74). سمّاه الله سبحانه مجرما باعتبار الدنيا، وما كان عليه الإنسان وما قام به من أفعال إجرامية، والقرينة على ذلك "يأت" أي لفظية.

6- **الغائية** (اعتبار ما سيكون): هو تسمية الشيء بما سيصير إليه في مثل قوله جل من قائل:﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ (نوح: 27). أي يلدون أولادا صغار سيصيرون فجارا كفارا بعد أن يكبروا، والقرينة لفظية "يلدوا"، وهما مجازان علاقاتهما ما سيكون.

7- **المحلية:** وهي أن تذكر لفظ المحل أي المكان، وتريد الحالَّ فيه، مثل قولك: شربت كأسا، وأنت لا تريد الكأس بل الماء الذي فيه، وقوله تعالى في زجر أبي جهل الذي كان ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ (العلق :15-19). فالأمر في قوله تعالى: (فليدع ناديه) فإننا نعرف أن النادي مكان الاجتماع ولكن المقصود به في الآية "من" في هذا المكان من عشيرته وأنصاره، فهو مجاز مرسل أطلق فيه المحل وأريد الحَالُّ.

8- **الحالية:** وهي تسمية المحل باسم الحالِّ فيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (آل عمران: 107). فالمجاز في كلمة "رحمة"، والرحمة لا يحل فيها الذين ابيضت وجوههم لأنها معنى من

المعاني، وإنما هم يحلون في مكان الرحمة الذي راد به في الآية " الجنة". فإطلاق الحالِّ (الرحمة) وإرادة محلها (الجنة) مجاز مرسل علاقته الحالية.

9-**الآلية:** وهي ذكر الآلة في الكلام، والمراد ما ينتج عنها أو الأثر الذي تحدثه، أو هي الواسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ (الشعراء: 84). أي ثناء حسنا، وذكرا جميلا، فلسان بمعنى ذكر حسن مجاز مرسل علاقته الآلية، لأن اللسان آلة لعرض الذكر الحسن، ويمكن القول إنه آلة النطق وأداته في تحديد القول[1].

[1] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ص 181-193. وينظر: خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص 39-45.

الاستعارة

الاستعارة مجاز لغوي، وهي لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي (الأصلي)، وربطت الاستعارة بالتشبيه، وعندها صارت الاستعارة في المعنى الاصطلاحي: تشبيه حذف أحد طرفيه، يقول عبد القاهر الجرجاني: «الاستعارة تعتمد التشبيه أبدا» [1]. وقال أيضا: «الاستعارة هي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل»[2]. وقال في موضع آخر: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل»[3].

وأركان الاستعارة ثلاثة:

1-مستعار منه: وهو المشبه به.
2-ومستعار لهُ: وهو المشبّه. } ويسميان طرفا الاستعارة
3- ومستعار: وهو اللفظ المنقول (الجامع) أو وجه الشبه.

وكل مجاز يُبنى على التشبيه يدعى استعارة، وينبغي عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه. والاستعارة تقسم قسمين باعتبار ما يذكر من طرفيها.

1-**الاستعارة التصريحية أو (المُصرَّحة):** وهي ما صرِّح فيها بلفظ المشبه به ، أي ما حذف منها المستعار له، وذكر المستعار منه، أي ما حذف المشبه وذكر المشبه به في مثل قوله تعالى :﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (إبراهيم: 1). فقد استعار هنا لفظة الظلمات (المستعار منه) للضلالة (المستعار له) ، فصرّح بالمستعار منه وحذف المستعار له، واستعار النور (المستعار منه) للهداية (المستعار له)، فذكر الأول وحذف الثاني[4].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 36.
[2] المرجع نفسه، ص 17.
[3] المرجع نفسه، ص 23.
[4] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق،ص 198.

وقال المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساطِ فماَ دَرَى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرْتقِي[1].

فقد شبه سيف الدولة بالبحر بجامع العطاء ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو البحر للمشبّه، وهو سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة "وأقبل يمشي في البساط". كما شبّه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبّه، وهو سيف الدولة على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة "وقبل يمشي في البساط" .

2-الاستعارة المكنية أو (بالكناية): وهي ما حذف منها المستعار منه أي المشبه به وبقيت في الكلام قرينة تدل عليه، وذكر المستعار له أي المشبّه، كقوله تعالى على لسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ (مريم: 4). شُبه الرأس بالوقود ثم حُذف المستعار منه أي المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اشتعل) على سبيل الاستعارة المكنية، وبقي المستعار له وهو (الرأس)، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس[2].

[1] المتنبي ، الديوان، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت) ، ص347.

[2] حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق،ص 199، 200.

المجاز العقلي أو الحكمي أو الإسنادي وعلاقاته

المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه* إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم. وإيضاح هذه العلاقات يتبن مما يلي:

1- إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول (العلاقة المفعولية): نحو قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة: 21). فقد أسند الرضا إلى العيشة على سبيل المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية، إذ العيشة مَرضِية لا راضية، ومعلوم أن المراد بالعيشة هي الحياة، وهي معنى من المعاني، ولا يتصور منها الرضا أو عدمه، وإنما الذي يوصف بذلك هو صاحبها إياها. فحذف الفاعل. وقال تعالى : ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق: 6) ، أي مدفوق.

2- إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل: (العلاقة الفاعلية): نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ (مريم: 61). أي آتيا [1].

3- إسناد الفعل إلى المصدر (العلاقة المصدرية): نحو قول أبي فراس:

سيذكرني قومي إذا جدَّ جِدُّهُم وفي الليلة الظلماء يُفتَقد البدر [2].

فقد اسند الفعل "جدّ" إلى المصدر " جدُّهُم" بمعنى: اجتهد اجتهادهم، إذ يستحيل عقلا أن يصدر الاجتهاد من المصدر، وهو معنى من المعاني لا يقوم بنفسه.

4- الإسناد إلى الزمان (العلاقة الزمانية): نحو : نهارُه صائمٌ، وليلهُ قائمٌ. فقد اسند الصوم إلى النهار ، والقيام إلى الليل.

5- الإسناد إلى المكان (العلاقة المكانية): نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾

---

*- ما في معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، ومعنى كونه غير ما هو له انه ليس من حقه أن يسند إليه لأنه ليس بوصف له .

[1] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2004، ص245.

[2] أبو فراس الحمداني، الديوان، شرح خليل الدوَيْهي، دار الكتاب العربي ، بيروت،لبنان، ط2، 1994، ص165.

(الأنعام: 6). فقد اسند الجري إلى الأنهار وهي أمكنة للمياه وليست هي الجارية، بل الجاري ماؤها.

6- الإسناد

إلى السبب (العلاقة السببية): نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: 2)، فقد أسندت زيادة الإيمان في قوله "زادتهم" هي، أي الآيات، أسندت الزيادة لضمير الآيات على سبيل المجاز العقلي، الذي علاقته السببية. والفاعل الحقيقي لهذه الزيادة هو الله وحده القادر عليها، والآيات سبب في الهداية وزيادة الإيمان، إذ يستحيل عقلا أن تكون الآيات هي الفاعل الحقيقي لزيادة الإيمان [1].

[1] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص246، وينظر: محمد رمضان الجربى، البلاغة التطبيقية، دراسة تحليلية لعلم البيان، شركة ELGA ، مالطا، (د ط)، 2000، ص243-249.

بلاغة الخطاب النثري

خطبة للحجاج بالبصرة:

نص الخطبة: « حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا، مالي أرى علماءكم يذهبون، و جُهَّالكُم لا يتعلمون، وشِرارَكم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كُفيتم، وتضيِّعون ما به أمرتم، إن العلم يوشك أن يُرفع، ورفعُه ذهاب العلماء؛ ألا وإني أعْلمُ بشرارِكم من البيطار بالفرس: الذين لا يقرأون القرآن إلا هُجْرا، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرا ، ألا وإن الدّنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأكل منها البَرُّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخرٌ يحكم فيه مَلِكٌ قادرٌ؛ ألا فاعلموا وانتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (النجم: 31)، ألا وإن الخير كلَّه بحذافيره في الجنّة، ألا وإن الشرّ كُلَّه بحذافيره في النار، ألا وإن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأستغفر الله لي ولكم »[1].

هذه الخطبة عرض فيها الخطيبُ حججا وأدلة جادة، قاصدا من ورائها إقناع المستمعين، إذ قام بعرض جزئيات موضوعه معتمدا الإثارة لعواطف المستمعين لإقناعهم بما ينويه ويقصده. وقد اشتملت الخطبة على معان وأفكار، وهي بمثابة نصائح وإرشادات ومواعظ يريد بها الإقناع والتأثير في المتلقين.

فبعد أن حمد الحجاجُ الله وأثنى عليه، قال في بداية خطبته مؤكدا: :» إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا». هذه الافتتاحية التي بدأ بها الحجاج خطبته تعد بمثابة الولوج إلى صميم الموضوع، وما نلحظه في هذه الافتتاحية أن لها علاقة بموضوع الخطبة، فهي تمهد له وتخدمه، إذ تتسم بالإيجاز والوضوح ودقة التعبير.

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، 207/4.

وبعد هذه المقدمة نجد الحجاج بدأ يعرض لنا موضوع خطبته، إذ بدأ بطرح موضوع الخطبة بالاستفهام طلبا للإيضاح، والذي تكرر مرتين في بداية الخطبة، حيث تم إنجازه بأداة الاستفهام "ما":

- مالي أرى علماءكم يذهبون، و جُهَّالكُم لا يتعلمون، وشِرارَكم لا يتوبون؟
- مالي أراكم تحرصون على ما كُفيتم، وتضيِّعون ما به أمرتم؟

من ثمّ فأسلوب الاستفهام يدعو المخاطَب إلى أن يشارك السائل فيما يحس ويشعر، ويعين على تهيئة الفكر ولفت الانتباه، لأن الاستفهام يوفر للنفس طاقة من الإيحاء والتأمل. وما نلحظه في أسلوب الاستفهام في قول الحجاج: "مالي أراكم تحرصون على ما كُفيتم، وتضيِّعون ما به أمرتم؟" أنه تم تقديم الجار والمجرور على الفعل، مراعاة للنظم السجعي في الكلام بين الجملتين، فلو قال: مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيعون ما أمرتم به، لما كان له ذلك النغم الموسيقي الذي هو على حرف الميم.

وقد كثر في الخطبة استخدام حرف "أَلاَ" بفتح الهمزة والتخفيف* ، هذا الدليل الذي تكرر في بدايات العبارات لم يمارس في المتلقي شحنا دلاليا فحسب، بل شحنا إيقاعيا أيضا.

ويقول المعربون فيها: «حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها، وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة و "لا"، وهمزة الاستفهام، إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق»[1].

ومما زاد الأمر توكيدا نجد " ألاَ" لحقتها مباشرة أداة التوكيد »إن." قال الحجاج:

- ألا وإن الدّنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأكل منها البَرُّ والفاجر.

---

* وهي على خمسة أوجه: أحدهما: أن تكون للتنبيه، فتدلّ على تحقق ما بعدها، والثاني: التوبيخ والإنكار. والثالث: التمني. والرابع: الاستفهام عن النفي. وهذه الأقسام الثلاثة مختصة بالدخول على الجملة الاسمية، وتعمل عمل "لا" التَّبرئة، ولكن تختص التي للتمني بأنها لا خبر لها لفظا وتقديرا. والخامس: العرض والتحضيض، وتختص "ألاَ" هذه بالجملة الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾ (النور: 22). ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 1999، 81/1، 82.

[1] المرجع نفسه، 81/1.

- ألا وإن الآخرة أجل مستأخرٌ يحكم فيه مَلِكٌ قادرٌ.
- ألا وإن الخير كلَّه بحذافيره في الجنّة.
- ألا وإن الشرّ كُلَّه بحذافيره في النار.

فالحجاج في هذه الخطبة ينبّه المخاطَبين ويوبخهم وينكر عليهم الأفعال التي يقومون بها، والأعمال التي يلجأون إليها.

كما نجد في هذه الخطبة الحرف "أَلاَ" لحقه مباشرة فعل الأمر؛ أي دخل على الجملة الفعلية، وحينئذ تكون دلالة " ألاَ" هنا التحضيض، الذي يعني : « طلب الشيء بحثٍّ»[1].

وقد وردت هذه البنية اللغوية مرة واحدة في الخطبة، قال الحجاج:" ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر".

ومما هو معروف عن الحجاج أنه كان شديد اللهجة، والتحضيض يعني طلب الشيء بشدة؛ إذ قام بخطاب الجمع بهذا الأسلوب لما رأى فيهم – كما يتبّن من العبارات التي وجهها إلى المخاطَبين– من انحراف وخروج عن طريق الحق والصواب.

ولإقناع المتلقي استشهد الحجاج بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (النجم: 31).

فالقرآن الكريم هو أبلغ كلام وأقوى حجة يدعّم بها المتكلم كلامه لإقناع سامعيه. فالحجاج يريد أن يؤكد بوجود يوم الحساب، لأن كل البشر سيلقون الله عز وجل ويجزون بما عملوا.

كما أنه احتجّ بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: 7–8). فهي حجة إلهية ثانية تدعم الحجة الإلهية الأولى وتكملها،

[1] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 82/1.

لقد أجمل ثم فصّل؛ فالحجة الأولى أتت مجملة، وفصلت الحجة الثانية ما كان مجملا في الحجة الأولى. وعليه تكون البنية الحجاجية كالتالي:

من يعمل مثقال ذرة خيرا ←——— يره.

الحجـــة ←——— النتيجة

ومن يعمل مثقال ذرة شرا ←——— يره.

الحجـــة ←——— النتيجة

فهي حجة قوية أتت على شكل صيغة شرطية، لترسيخ المعنى في ذهن المتلقي والتأثير فيه. ولتوضيح المعنى وتقريره نجد الحجاج لجأ في نهاية خطبته إلى محسن معنوي، ألا وهي المقابلة، التي لها الأثر الكبير في تقوية المعنى وتثبيته في الذهن. فالمعنى يزداد وضوحا بإيراد المعنى مع ضدّه.

قال الحجاج:" ألا وإن الخير كلَّه بحذافيره في الجنّة، ألا وإن الشرّ كُلَّه بحذافيره في النار".

وإذا أمعنا النظر في هاتين العبارتين نجد صورة بيانية تتمثل في الاستعارة المكنية، التي تعطي معاني كثيرة بالقليل من اللفظ؛ أي الإيجاز في التعبير والإيضاح للمعنى، من أجل تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي كي يكون لها الأثر الفعال في النفس، ومن ثمّ الاقتناع بالفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي.

وبما أن الحجاج بدأ خطبته بحمد الله والثناء عليه، فقد ختمها بالاستغفار لله له ولمستمعيه. ومنه فإن مقدمته تتناسب مع خاتمه.

إلاَّ انّه يمكن إجمال أهم المميزات التي شملت أسلوب الحجاج في خطبته، والتي تتمثل فيما يلي:

1-الخطبة خالية من أسلوب النداء.

2-لقد كثر السجع في الخطبة، في مثل: يذهبون، ويتعلمون، ويتوبون/ كفيتم، وأمرتم / هُجْرا، ودُبُرا. هذا التوافق في أواخر الكلمات عمل على تنظيم النّغم وترتيب الإيقاع؛ إذ أحدث في الكلام نغما موسيقيا عذبا، وأكسب المعنى جمالا.

3-لقد زاوج الحجاج في خطبته بين الخبر والإنشاء ليجذب اهتمام المستمع، لأن التنوع الأسلوبي يعين الخطيبَ إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه.

وفي الأخير نقول: إن علم البلاغة قد احتل في موروثنا العربي مكان الصدارة، فهو يتألف من علوم ثلاثة هي: المعاني، والبيان، والبديع، وتعمل هذه العلوم متضافرة مع بعضها البعض في تأليف الكلام ونظمه كي نحكم عليه بأنه كلام بليغ.

وأرجو أن يجد أساتذة البلاغة وطلابها في هذا العمل بغيتهم وضالتهم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1) ابن الأثير (ضياء الدين بن الأثير)، المثل السائر، قدمه وحققه وعلق عليه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ط2، (دت).
2) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 2002.
3) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2004.
4) امرؤ القيس، الديوان، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،(دط)،(دت).
5) أمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2006.
6) البحتري ، الديوان، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصريفي، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).
7) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، وضع حواشيَه مُوفَّق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
8) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط3، 1997.
9) جرير، الديوان، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ط1، (د ت).
10) حميد آدم ثويني، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.

11) خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2009.
12) ديك الجن الحمصي، الديوان ، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2004.
13) ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2001.
14) ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002.
15) السريّ الرفّاء، الديوان، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
16) أبو الطيب المتنبي، الديوان، التبيان في شرح الديوان، شرح أبي البقاء الكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(دط)، (دت).
17) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، (د ط)، (د ت).
18) العباس بن الأحنف، الديوان، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ط)، 1954.
19) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، (د ت)،
20) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، ط3، 2001.

21) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
22) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي)، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1997.
23) أبو عبيدة (أبو عبيدة معمر بن المثنى التَّيْمِيِّ)، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت).
24) أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، (د ط)، 1986م.
25) أبو العلاء المعري، ديوان اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، مكتبة الخانجي ، القاهرة، (د ط)،(د ت).
26) عمرو بن كلثوم، الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
27) أبو فراس الحمداني (أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني)، الديوان، شرح خليل الدوَيْهي، دار الكتاب العربي ، بيروت،لبنان، ط2، 1994.
28) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي)، كتاب الأمالي، مع كتابي ذيل الأمالي والنوادر، تحقيق: الشيخ صلاح بن فتحي هلل وسيد بن عباس الجيلمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
29) قتادة بن إدريس، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
30) قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر)، نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

31) القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني)، الإيضاح في علوم البلاغة، قدّم له وبوّبه وشرحه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2000.

32) المتنبي (أبو الطيب)، الديوان، دار الجيل، بيروت، (د ط)، (د ت) .

33) محمد رمضان الجربى، البلاغة التطبيقية، دراسة تحليلية لعلم البيان، شركة ELGA ، مالطا، (د ط)، 2000.

34) ابن المعتز(أبو العباس عبد الله بن المعتز)، كتاب البديع، شرحه وحققه: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

35) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، مادة (بلغَ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3"، 1994.

36) أبو النجم العِجْلي، الديوان، جمعه وشرحه وحققه محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 2006.

37) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

38) ابن هشام (ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 1999.

39) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان ، الأردن، ط1، 2007.

فهرس المحاضرات

العنوان الصفحة

مقدمة.....1

الفصاحة والبلاغة.....2

نشـأة علوم البلاغة.....11

أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة.....16

الأسلوب الخبري وأضرُبُه.....19

الأسلوب الإنشائي وأضربه.....24

الفصل والوصل.....28

التقديم والتأخير.....32

أسلوب القصر.....36

الحقيقة والمجاز.....41

المجاز المرسل.....44

الاستعارة.....47

المجاز العقلي أو الحكمي أو الإسنادي وعلاقاته.....49

بلاغة الخطاب النثري.....51

قائمة المصادر والمراجع.....56

فهرس المحاضرات.....60